﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النمل: 23]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

بيانُ الخبرِ اليقينِ الَّذي جاءَ بِهِ الهُدْهُدُ

لمّا توعَّد سليمان ﷺ الغائبَ مِنَ الطير بالعذاب الأليم، وجاء الهدهد بحجَّة لغيابه، فقالَ: ﴿وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾ [النمل: 22]؛ قالَ سليمانُ ﷺ: وما ذلكَ الخبرُ؟ قالَ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ الآيةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَمۡلِكُهُمۡ﴾: (ملك) أصلٌ صحيح، معناه: قوَّةٌ في الشَّيءِ وصحَّةٌ، ومَلَكَهُ يَمْلِكُهُ بالكَسْرِ (مِلْكًا) بِكَسْرِ الميم، وهَذا الشَّيْءُ (مِلْكُ) يَميني، و(مَلْكُ) يَميني، والفَتْحُ أَفْصَحُ، و(مَلَّكَهُ) الشَّيْءَ (تَمْليكًا) جَعَلَهُ مِلْكًا لَهُ، يُقالُ: مَلَّكَهُ المالَ[2]، يقالُ: أملكَ عجينَهُ: قوَّى عَجْنَهُ وشدَّهُ، وقيلَ: مَلَكَ الإنسانُ الشَّيءَ؛ لأنَّ يدَهُ فيهِ قويَّةٌ صحيحةٌ[3]، ومعنى ﴿تَمۡلِكُهُمۡ﴾ في الآيةِ: تتولَّى أمرَهم ملكةٌ عليهم[4].

2) ﴿عَرۡشٌ﴾: (عرش) أَصْلٌ صَحيحٌ واحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى ارْتِفاعٍ في شَيْءٍ مَبْنيٍّ، ثُمَّ يُسْتَعارُ في غَيْرِ ذَلِكَ[5]، و(عَرْشُ) البَيْتِ سَقْفُهُ، فالعَرْشُ في الأصلِ: شيءٌ مُسقَّفٌ، وجمعُهُ: عُروشٌ، ومِنَ البابِ: تَعْريشُ الكَرْمِ: رَفْعُهُ والتَّوَثُّقُ مِنْهُ، قالَ ﷺ: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: 259]، وسُمّيَ مَجْلِسُ السُّلطانِ عَرْشًا؛ اعتبارًا بعُلوِّهِ،

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 182.
(2) الرازي، مختار الصحاح: (ملك).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ملك).
(4) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 272.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرازي، مختار الصحاح: (عرش).

وكُنِّيَ به عن العِزِّ والسُّلطانِ والمملكةِ، فيقالُ: فلانٌ ثُلَّ عَرْشُهُ[1] عَلَى ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ، أَيْ: وهَى أَمْرُهُ، وذَهَبَ عِزُّهُ، والمرادُ بالعَرْشِ في الآيةِ: السَّريرُ الَّذي يُجلَسُ عليهِ للحُكْمِ والمُلْكِ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

استعظامُ شأنِ ملكِ بِلْقيسَ وعَرْشِها

يقولُ ﷺ مُخبِرًا عن قيلِ الهُدْهُدِ لسليمانَ عليه السلام معتذرًا عن مَغيبِهِ عنهُ: إنّي وجدتُ امرأةً تملكُ سَبَأً، وقد أوتيَتْ مِنْ كلِّ شيءٍ يُؤتاهُ المُلوكُ في عاجلِ الدُّنيا ممّا يكونُ عندَهم مِنَ العَتادِ والآلةِ، ولها كُرْسيٌّ عظيمٌ تجلس عليه للمُلْكِ.

وإنَّما صارَ هذا الخبرُ للهُدْهُدِ عُذْرًا عندَ سليمانَ عليه السلام؛ لأنَّ سليمانَ كانَ لا يَرَى أنَّ في الأرضِ أحدًا لهُ مملكةٌ معَهُ، وكانَ قد حُبِّبَ إليهِ الجهادُ والغَزْوُ، فلمّا دلَّهُ الهُدْهُدُ على مُلْكٍ بموضعٍ مِنَ الأرضِ، هو لغيرِهِ، وقومٍ كفرةٍ يعبدونَ غيرَ اللهِ؛ حقَّتْ للهُدْهُدِ المعذرةُ في مَغيبِهِ عن سليمانَ عليه السلام[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآيةِ عمّا قبلَها:

الجملُ المفصولةُ تقعُ موقعَ البيانِ والتَّفصيلِ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾، عن قولِهِ: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: 22]؛ لأنَّهُ بيانٌ للنَّبأِ وتفصيلٌ لهُ إثرَ الإجمالِ[4]، فهو استئنافٌ بيانيٌّ جوابًا عن سؤالٍ نشأَ مِنَ الكلامِ السّابقِ، كأنَّهُ لمّا قالَ الهُدْهُدُ: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: 22]؛ قالَ سليمانُ عليه السلام: وما ذلكَ النَّبأُ؟ قالَ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾[5]، فالفصلُ بينَهما؛ لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ.

(1) الراغب، المفردات: (عرش).
(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 3/ 358، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 185.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 446.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 281، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 183.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 151.

غرضُ التَّوكيدِ بـ (إنَّ):

توكيدُ الخبرِ الصّادقِ المُهمِّ واجبٌ

أُكِّدَ قولُهُ ﷺ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾ بإدخالِ (إنَّ) في صدرِهِ؛ للمبالغةِ في صِدْقِهِ[1]، ولأهمّيَّةِ الخبرِ؛ إذ لم يكنْ معهودًا في بني إسرائيلَ أنْ تكونَ المرأةُ مَلِكًا[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي في ﴿وَجَدتُّ﴾:

الدَّلالةُ على تحقُّقِ الوجدانِ ووقوعِهِ

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ الوجدانَ أمرٌ قد تحقَّقَ ووقعَ، والإشارة إلى أنَّ ملك بلقيس قائمٌ في بلادها، والتَّعبيرُ بما شأنُهُ التَّحقُّقُ يناسبُ المبالغةَ في الصِّدقِ.

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿وَجَدتُّ﴾ دونَ (رأيتُ):

الوجدانُ القلبيُّ أنسبُ بوصفِ حالِ ما رأى

إيثارُ ﴿وَجَدتُّ﴾ على (رأيتُ) في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾؛ للإيذانِ بكونِ الهُدْهُدِ عندَ غَيْبَتِهِ كان بصَدَدِ خِدْمةِ سليمانَ عليه السلام، وإلّا لما تأخَّر عنه حين طلبه، فأبرز نفسه في معرضِ مَنْ يتفقَّدُ أحوالَ ملك سليمان عليه السلام، ويتعرَّفُها كأنَّها ضالَّتُهُ؛ ليَعرِضَها على سليمانَ عليه السلام[3]، والتَّعبيرُ بذلكَ أيضًا؛ للإشعارِ بأنَّ ما ظَفِرَ بهِ أمرٌ غيرُ معلومٍ أوَّلًا؛ لأنَّه وجدانٌ بعدَ الفَقْدِ، وفيهِ إشعارٌ بغرابةِ الحالِ[4].

والمرادُ وجدانُ مُلْكِها لا وجدانُ نفسِها، والمُلْكُ ليسَ مِنَ المرئيِّ، فالوجدانُ هنا القلبيُّ أو المصادفةُ مبالغةً، ولذلكَ قالَ فيما سبقَ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النمل: 22][5]، فالفعل (وَجَدَ) يدلُّ على رؤيةٍ بالبصر والبصيرة، وهذا يناسب رؤيةَ المشهد، وتبيُّن حالِ الملكة وقومها.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 374.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 252.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 281، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 185.
(4) الخفاجي، عناية القاضي: 7/ 41.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 374.

دلالةُ تنكيرِ قولِهِ سبحانَهُ: ﴿ٱمۡرَأَةً﴾:

ليس من المعهود في ذلك الزَّمان أن تحكم امرأةٌ قومًا

نُكِّرَ لفظُ ﴿ٱمۡرَأَةً﴾ في قولِهِ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾؛ لأنَّ القصدَ إلى فردٍ مِنْ أفرادِ الجنسِ المُسمَّى بالمرأةِ، وهي بِلْقيسُ بنتُ شَراحيلَ، وكانَ أبوها قد ملكَ أرضَ اليمنِ كلَّها، ولم يكنْ لهُ ولدٌ غيرُها، فغلبَتْ على المُلكِ، وكانَتْ هي وقومُها مجوسًا يعبدونَ الشَّمسَ[1].

وقوله: ﴿ٱمۡرَأَةً﴾ مفعولٌ أوَّل لقوله: ﴿وَجَدتُّ﴾، ولهُ حكمُ المبتدأِ، فهو كالابتداءِ بالنَّكرةِ؛ إذا أُريدَ بالنَّكرةِ التَّعجُّبُ مِنْ جنسِها، كقولِهم: غزالةٌ تكلَّمَتْ؛ لأنَّ المرادَ حكايةُ أمرٍ عجيبٍ عندَهم، وهو أنْ تكونَ امرأةٌ مَلِكةً على قومٍ[2]، وفي طيّاتِ التَّعجُّبِ مبالغةٌ وتعظيمٌ لشأنِها، ولقصدِ التَّعجيبِ أيضًا؛ لم يقل: (وجدتُهم تملكُهم امرأةٌ)[3]، بل أوثرَ التَّعبيرُ بما فيهِ تقديمُ مَناطِ التَّعجُّبِ، وهو لفظُ ﴿ٱمۡرَأَةً﴾.

معنى الملك في قولِهِ تعالى: ﴿تَمۡلِكُهُمۡ﴾:

قبولُهم حكمَ امرأةٍ دليلُ خضوعِهم

الظّاهرُ أنَّ فعلَ ﴿تَمۡلِكُهُمۡ﴾ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾ مشتقٌّ مِنَ المُلْكِ بضمِّ الميمِ[4]، وفِعْلُهُ كَفِعْلِ مِلْكِ الأَشْياءِ، وروِيَ في حَديثِ هِرَقْلَ: «هَلْ كانَ في آبائِهِ مِنْ مَلَكٍ؟»[5] بِفَتْحِ اللّامِ، أَيْ: كانَ مَلِكًا، ويُفَرَّقُ بَيْنَ الفِعْلَيْنِ بِالمَصْدَرِ، فَمَصْدَرُ هَذا مُلْكٌ بِضَمِّ الميمِ، والآخَرُ بِكَسْرِها، ويجوزُ أنْ يكونَ مُشْتقًّا مِنَ المِلْكِ بكسرِ الميمِ، والتَّعبيرُ بهِ؛ للإشارةِ إلى أنَّ خُضوعَهم لها كخُضوعِ العبيدِ لِمَنْ يملُكهم[6]، وضَميرُ الجَمْعِ في قوله: ﴿تَمۡلِكُهُمۡ﴾ راجِعٌ إلَى سَبَأٍ، والمرادُ: أنَّها تحكمُهم[7].

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 360.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 252.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 252.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 374، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 252.
(5) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (4553)، ومسلم في صحيحه، برقم: (1773).
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5447.
(7) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 17/ 10771.

سرُّ التَّعبيرِ بالمضارعِ: ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾:

تصويرُ الحدثِ مِنْ شواهدِ التَّصديقِ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾؛ للدَّلالةِ على تصويرِ فعلِ حُكْمِ بِلْقيسَ لقومِها - الَّذي هو مدارُ التَّعجُّبِ والاستغرابِ - بأنْ تتولَّى ملكَهم امرأةٌ[1]، ولأنَّ حكمَها لهُم كانَ مُستمرًّا عندَ إخبارِ الهُدْهُدِ بذلكَ[2].

مرجعُ الضَّميرِ في قولِهِ تعالى: ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾:

مُلك بلقيس لمدينة سبأ وأهلها

ضميرُ مفعولِ ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ في قولِهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ راجعٌ إلى سبأٍ، فإنْ أُريدَ بهِ القومُ، فالأمرُ ظاهرٌ، وإنْ أُريدتِ المدينةُ؛ فمعناهُ: تملكُ أهلَها[3].

وعَوْدُهُ على سبأٍ على معنى القومِ؛ لأنَّهم كانوا يُسمَّونَ باسمِ أبيهِم، فذُكِرَ لفظُ سبأٍ أوَّلًا بمعنى المدينةِ، وأُعيدَ عليهِ الضَّميرُ بمعنى القومِ على أسلوبِ الاستخدامِ[4].

إعرابُ جملة: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾:

كلُّ شيءٍ في ملك بلقيس يُثيرُ التَّعجُّبَ

جملةُ: ﴿وَأُوتِيَتْ﴾ يجوزُ أنْ تكونَ معطوفةً على ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾، وجازَ عطفُ الماضي على المضارعِ؛ لأنَّ المضارعَ بمعناهُ، أي: ملَكَتْهم، ويجوزُ أنْ تكونَ في محلِّ نصبٍ على الحالِ مِنْ مرفوعِ ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾، و(قد) معَها مُضمَرةٌ عندَ مَنْ يشترطُ ذلكَ[5].

وسواءٌ كانتِ الجملةُ معطوفةً أم حالًا؛ فإنَّها استكمالٌ لشأنِ التَّعجُّبِ الَّذي أبداهُ الهُدْهُدُ مِنْ هَوْلِ ما شاهدَ في مملكةِ بِلْقيسَ.

---

(1) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 272.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 374.

(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 360، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 551.

(4) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 272، والاستخدام: هو ذكر لفظ مشترك بين معنيين، يراد به أحدهما ثم يعاد عليه ضمير، أو إشارة، بمعناه الآخر، أو يعاد عليه ضميران يراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما. يُنظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص: 301.

(5) السمين، الدر المصون: 8/ 597، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 185.

سرُّ التَّعبيرِ بالإيتاءِ دونَ الإعطاءِ:

الإيتاءُ مُشعِرٌ بأنَّ المُعْطَى مرغوبٌ فيهِ

عُبِّرَ بالإيتاءِ دونَ الإعطاءِ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ لأنَّ الإيتاءَ وإنْ كانَ بمعنى الإعطاءِ إلّا أنَّه مُشعِرٌ بأنَّ المُعطَى مرغوبٌ فيهِ، وهو مُستعمَلٌ في لازمِهِ، وهو النُّزُلُ[1]، بينما الإعطاء: هو اتِّصال الشيء إلى الآخذ له، ثم كثر استعمال الإعطاء، حتى صار لا يُطلق إلّا على التَّمليك، فيقال: أعطاه مالًا؛ إذا ملَّكه إيّاه، وهو دليل التملُّك دون الإيتاء[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بما لم يسمَّ فاعله ﴿وَأُوتِيَتْ﴾:

سَعَةُ العيشِ ورخاؤُه آلةُ التَّمكينِ في الملكِ

بُنِيَ الفعلُ (أوتيَ) للمفعولِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ لأنَّهُ لمّا كانَتْ قد أوتيَتْ مِنْ كلِّ ما يحتاجُ إليهِ الملوكُ أمرًا كبيرًا؛ قيلَ: ﴿وَأُوتِيَتْ﴾ بالبناءِ للمفعولِ؛ إيذانًا بأنَّها معَ مُلْكِها مربوبةٌ[3]، ولأنَّهُ لا يتعلَّقُ الغرضُ بتعيينِ أسبابِ ما نالَتْهُ، بلِ المقصودُ ما نالَتْهُ، على أنَّ الوسائلَ والأسبابَ شتَّى، فمنهُ ما كانَ إرثًا مِنَ المُلوكِ الَّذينَ سبقوها، ومنهُ ما كانَ كَسْبًا مِنْ كَسْبِها واقتنائِها، ومنهُ ما وهبَها اللّهُ مِنْ عقلٍ وحكمةٍ، وما منحَ بلادَها مِنْ خِصْبٍ ووفرةِ مياهٍ، فليسَ المرادُ خصوصَ ما آتاها اللّهُ في أصلِ خِلْقتِها وخِلْقةِ أُمَّتِها وبلادِها، ولذلكَ لم يتعيَّنِ الفاعلُ عُرْفًا، وكلٌّ مِنْ عندِ اللّهِ[4]، وللإشارةِ أيضًا إلى أنَّ قومَها آتَوْها أمرَهم، ووضعوا رِقابَهم تحتَ سلطانِها[5].

ويُحتملُ أنْ يكونَ بناءُ الفعلِ للمفعولِ؛ للاستغناءِ عن ذكرِ الفاعلِ؛ إذِ المُؤتي هو اللّهُ تعالى، ولا يُتصوَّرُ غيرُهُ، وفي ذلكَ تفخيمٌ لِما أوتيَتْ.

نوعُ ﴿مِن﴾ ودلالتها البلاغيَّة:

عُمومُ كُلِّ شَيْءٍ عُمومٌ عُرْفِيٌّ

كلمةُ ﴿مِن﴾ في قولِ الحقِّ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 252.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 86.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 151.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 253.
(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5447.

ابتدائيَّةٌ، فتفيدُ أنَّ ابتداءَ الإيتاءِ هو كلُّ شيءٍ، ولو جُعِلَتْ للتَّبعيضِ؛ لكانَ قولُهُ: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ مُخصَّصًا أيضًا، كما هو في قولِهِ تعالى: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 16][1]، والمعنى: وأوتيَتْ بعضَ كلِّ شيءٍ.

دلالةُ التَّعبيرِ بقولِهِ تعالى: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾:

المبالغةُ في المُؤتَى لهَوْلِ المَرْئيِّ

قولُهُ تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ معناهُ: مِنْ كلِّ شيءٍ مِنَ الأشياءِ الَّتي تحتاجُها المملكةُ، فيكونُ في التَّعميمِ مبالغةٌ[2]، وتهويلٌ لِما رأى مِنْ أمرِها[3]، وإفادةُ كثرةِ ما أوتيَتْ[4]، أو أنَّها أوتيَتْ مِنْ كلِّ شيءٍ في زمانِها شيئًا، فحُذِفَ المفعولُ؛ لأنَّ الكلامَ دلَّ عليهِ[5]، والحاصلُ: أنَّ عُمومَ ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ عُرْفيٌّ، أي: أوتيَتْ كلَّ ما تحتاجُ إليهِ مِنْ خِصالِ المُلوكِ ومِنْ ذخائرِهم وعُدَدِهم وجُيوشِهم وثراءِ ممالكِهم وزُخْرُفِها ونحوِ ذلكَ مِنَ المحامدِ والمحاسنِ[6]، وهو عامٌّ مخصوصٌ بالعقلِ؛ لأنَّها لم تُؤْتَ ما أوتيَهُ سليمانُ عليه السلام[7].

بلاغةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿شَيْءٍ﴾:

إبهامُ المُؤتَى إشعارٌ بمدَى كثرته وعظمته

عُبِّرَ بلفظِ ﴿شَيْءٍ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ لِما فيهِ مِنَ التَّعميمِ المناسبِ لمقامِ تهويلِ شأنِ ملكِها، ويُؤيِّدُهُ إضافةُ لفظِ العُمومِ ﴿كُلِّ﴾ إليهِ؛ لأنَّ في لفظِ ﴿شَيْءٍ﴾ إبهامًا يُشعِرُ بأنَّ المُؤتَى مَهولٌ، وفي تنكيرِهِ تعظيمٌ يُقوِّي ذلكَ التَّهويلَ، فلفظُ ﴿شَيْءٍ﴾ مِنْ أسماءِ الأجناسِ العاليةِ العامَّةِ المُتوغِّلةِ في العمومِ، وقد يكونُ بيانُ هذا اللَّفظِ محذوفًا لدلالةِ المقامِ، وهو هنا الدَّلالةُ على مُطلَقِ التَّنويعِ[8].

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 374.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 256، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 184.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 151.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 185.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 184.
(6) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 272، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 253.
(7) السمين، الدر المصون: 8/ 597.
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 55، 24/ 109، 27/ 177.

توجيهُ المتشابهِ اللَّفظيِّ:

ما أوتيَهُ سليمانُ عليه السلام نُـبـوَّةٌ وحكمةٌ ومُلْكٌ

قولُهُ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ فيهِ سؤالٌ، وهو أنَّهُ كيفَ قالَ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾، معَ قولِ سليمانَ عليه السلام: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 16]، فكأنَّ الهُدْهُدَ سوَّى بينَهما، والجوابُ: أنَّ قولَ سليمانَ عليه السلام يرجعُ إلى ما أوتيَ مِنَ النُّبوَّةِ والحكمةِ، ثمَّ إلى المُلْكِ وأسبابِ الدُّنيا، وأمّا قولُ الهُدْهُدِ؛ فلم يكنْ يرجع إلّا إلى ما يتعلَّقُ بالدُّنيا[1].

إعرابُ جملةِ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾:

احتمالُ الجملةِ أوجـهًـا مِـنَ الإعرابِ

جملةُ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يجوزُ أنْ تكونَ مستقلَّةً بنفسِها سيقَتْ للإخبارِ بها، ويجوزُ أنْ تكونَ معطوفةً على ﴿وَأُوتِيَتْ﴾، أو جاءت حالًا مِنْ مرفوع ﴿وَأُوتِيَتْ﴾، وعلى جميعِ الوجوهِ فالجملةُ ترسيخٌ لبيانِ عظمةِ مُلكِها وسَعَتِهِ، وإتمامٌ لتهويلِ ما أوتيَتْ وتنوُّعِه.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميَّةِ:

الدَّلالةُ على دوامِ كونِ العَرْشِ لها

عُبِّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِ الحقِّ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾؛ للدَّلالةِ على دوامِ كونِ العَرْشِ لبِلْقيسَ، بخلافِ سائرِ ما أوتيَتْ[2]، ويجوزُ أنْ يكونَ التَّعبيرُ بالاسميَّةِ؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ كونِ العَرْشِ العظيمِ لها وتقرُّرِهِ، ومقامُ المبالغةِ يناسبُهُ ذلكَ.

علَّةُ تقديمِ الجارِ والمجرورِ:

العَرْشُ العظيمُ الشَّأنِ مختصٌّ ببِلْقيسَ

قُدِّمَ ﴿وَلَهَا﴾ على ﴿عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾؛ للعنايةِ بالمُقدَّمِ، وهو كونُ شيءٍ لها، وللتَّشويقِ للمُؤخَّرِ – وهو العَرْشُ العظيمُ الشَّأنِ – ولإفادةِ الاختصاصِ[3]، أي: ولها لا لغيرِها عَرْشٌ عظيمٌ.

---

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 361، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 24/ 551.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 374.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5447.

سرُّ تخصيصِ العَرْشِ بالذِّكرِ:

التَّنبيهُ على نفاسةِ العَرْشِ وعِظَمِ شأنِهِ

خُصَّ ذِكر العَرْش في قولِه جلَّ وتباركَ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ مِنْ بينِ نفائسِ الأشياءِ الَّتي أوتيَتْها بِلْقيسُ، معَ دخولِهِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ لأنَّ عَرْشَها كانَ عَرْشًا بديعًا[1]، ذا أُبَّهةٍ ورَوْنَقٍ وإشعارٍ بِعِظَمِ السُّلطانِ[2].

سرُّ تنكيرِ لفظِ ﴿عَرْشٌ﴾:

عَرْشُ بِلْقيسَ عظيمُ الشَّأنِ يناسبُ سَعَةَ المُلْكِ

نُكِّرَ ﴿عَرْشٌ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾؛ لتعظيمِ شأنِ العَرْشِ وتفخيمِهِ، أي: ولها عَرْشٌ بديعُ الشَّأنِ عجيبُهُ، لم أرَ مِثْلَهُ قطُّ في كِبَرِهِ وحُسْنِهِ[3].

نكتةُ وصفِ العَرْشِ بالعظَمةِ:

استُعظِمَ العرش لنفاسته واستصغار ملك بلقيس نسبة إلى ملك سليمان

وُصِفَ العَرْشُ بالعظَمةِ في قولِهِ جلَّ وتباركَ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾؛ للإشارةِ إلى عِظَمِ القَدْرِ والنَّفاسةِ في ضخامةِ الهيكلِ والذّاتِ[4]، وقد يقالُ: كيفَ استعظمَ الهُدْهُدُ عَرْشَ بِلْقيسَ، معَ ما كانَ يَرَى مِنْ مُلْكِ سليمانَ عليه السلام؟.

والجوابُ: أنَّهُ يجوزُ أنْ يستصغرَ حالَها إلى حالِ سليمانَ عليه السلام، فاستعظمَ لها ذلكَ العَرْشَ، يعني: أنَّهُ استصغرَ حالَها أنْ يكونَ لها مِثْلُ هذا العَرْشِ، ويجوزُ ألّا يكونَ لسليمانَ عليه السلام مِثْلُهُ؛ وإنْ عَظُمَتْ مملكتُهُ في كلِّ شيءٍ، كما يكونُ لبعضِ أُمَراءِ الأطرافِ شيءٌ لا يكونُ مِثْلُهُ للملكِ الَّذي يملكُ عليهم أمرَهم، ويستخدمُهم[5]، وأيًّا ما كانَ؛ فوصفُهُ بذلكَ بينَ يديهِ عليه السلام؛ لترغيبِهِ عليه السلام في الإصغاءِ إلى حديثِهِ، وتوجيهِ عزيمتِهِ نحوَ تسخيرِها[6].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 151، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 253.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 151، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 253.
(3) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 272.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 256، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 253.
(5) الزمخشري، الكشاف: 3/ 360، وأبو حيان، البحر المحيط: 8/ 227.
(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 281.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(أبصر) و(رأى) و(وجد):

أبصرَ الهدهدُ بالعينِ، وأدركَ بالبصيرةِ، فأحسنَ نقلَ الخبرِ

فعلُ (أبصرَ) يُقالُ للجارحةِ النّاظرةِ، نحوُ قولِه تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [سورة النحل: 77]، ويقالُ للقوَّةِ الَّتي في الجارحةِ النّاظرةِ، وقد يُطلَقُ على البصيرةِ؛ وهي الإدراكُ الَّذي في القلبِ[1].

وفعلُ (رأى) لفظٌ مُشتركٌ بينَ مَعانٍ، يأتي بمعنى: (أبصرَ)، وبمعنى: (علمَ)، وبمعنى: (ظنَّ)، وبمعنى: (حَلَمَ) في المنامِ، وبمعنى: (ضربَ رئتَهُ)، فهو على أضربٍ بحسَبِ قوَى النَّفْسِ: بالحاسَّةِ، والوهمِ والتَّخيُّلِ، والتَّفكُّرِ، والعقلِ[2].

أمّا فعلُ (وجدَ)؛ فيدلُّ على وجودٍ بالبصرِ والبصيرةِ، ولذلكَ وردَ في تعبيرِ الهُدْهُدِ؛ إذ كانَ منهُ مشاهدةٌ بالبصرِ، واعتبارٌ لحالِ بِلْقيسَ بالبصيرةِ، ولولا ذلكَ لم يكنْ لهُ أنْ يحكمَ بقولِه: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا﴾ الآيةَ[3].

الإيتاءُ والإعطاءُ:

فُرِّقَ بينَ الإيتاءِ والإعطاءِ مِنْ وجوهٍ:

الإيتاءُ أقوى مِنَ الإعطاءِ

منها: أنَّ في الإعطاءِ دليلَ التَّملُّكِ دونَ الإيتاءِ، ويُؤيِّدُهُ قولُهُ سبحانَهُ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: 1]؛ فإنَّ لهُ منعَ مَنْ شاءَ منهُ كالمالكِ للمِلْكِ، وأمّا القرآنُ، فحيثُ إنَّ أمَّتَهُ مُشاركونَ لهُ في فوائدِهِ؛ قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: 87][4].

ومنها: أنَّ الإيتاءَ أقوى مِنَ الإعطاءِ في إثباتِ مفعولِهِ؛ لأنَّ

(1) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (بصر).
(2) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (رأى).
(3) الراغب، المفردات: (وجد).
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 86.

الإعطاءَ لهُ مُطاوِعٌ، تقولُ: أعطاني، فعَطَوْتُ، ولا يقالُ في الإيتاءِ: آتاني، فأتيتُ، وإنَّما يقالُ: آتاني، فأخذتُ، والفعلُ الَّذي لهُ مُطاوِعٌ أضعفُ في إثباتِ مفعولِهِ مِنَ الفعلِ الَّذي لا مُطاوِعَ لهُ.

ومنها: أنَّ الإيتاءَ أقوى مِنَ الإعطاءِ؛ لأنَّ الإيتاءَ يُستعمَلُ في الأشياءِ العظيمةِ، كالقرآنِ، والحكمةِ، والمُلْكِ[1].

ولمّا كانَ مُلكُ بِلْقيسَ هائلًا، يُثيرُ العَجَبَ والدَّهشةَ، وكانَ قومُها مشاركينَ لها في الانتفاعِ بهِ؛ عُبِّرَ بلفظِ الإيتاءِ الدّالِّ على الأشياءِ العظيمةِ، ومنها المُلكُ.

(1) زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 248.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»